السيدة أيدس

عن الإنكليزية

بقلم السيدة الفاضلة منيبة الكيلاني

تستدير من حول مقاطعة كنت « Kent » في انكلترا قطعة من الأرض وتستقيم إلى ساحل البحر فيما يشبه في علم الجغرافيا الرأس وتقوم عليها قلعة من قلاع القرون الوسطى وتحدق بهذه القلعة آجام تمد الصناعة بالكثير من الأخشاب وتمد الصيد بالوفير من الطيور والحيوان.

وتستدير هنا وهناك برك من الماء اللجيني تضاحك الشمس عامة النهار وتنازلها ساعتي المغيب والشروق بما يصبي بنات الهديل في أيام الربيع فتتسارع من غصن إلى غصن ترتل النشيد الذي يملأ النفس خشوعاً.

ولفرط ما تشابكت أشجار الكستناء وتعانقت أغصان السنديان فقد أضحى الدرب الذي يسلكه السالك إلى بيت السيدة أيدس تسوده الظلمة حتى قبل أن يحلولك الأفق بوقت طويل وقبل أن يمحو الليل خطوط الشفق. أما القمراء وما فيها من سحر وفتون فما كانت لتعرف هذا الدرب ولا تستطيع أن تنفذ إلى ثناياه مهما كانت أشعتها خارقة، غير أن الصمت والهدوء الذي يستفز الخاطر استفزازاً كانا يعرفان درب منزل السيدة أيدس ويحبان فيه طويلا ...

ولقد كانت الليلة التي تسجل أحداثها إحدى ليالي نوفمبر وقد انتشر الثلج من ذلك العام، والدرب ساكن هادىء كأنه قد تردى بأكثر من ثوبه المعتاد صمتاً، فما كان ليسمع فيه أبداً غير وقع أقدام الرجل الذي يسلكه في تلك الساعة وغير نباح كلب ليس بالبعيد، ولقد كان وقع الأقدام لفرط السكون من جهة ولطبيعة الدرب من جهة أخرى يأتي بصدى غريب كأنه وقع لأقدام متأثرة ملحاحة تريد القبض على السالك، وتنفذ السير

شاعر بالعراق ينظم شعرا فيرى دون نشر ما قال عسرا
فيهادى به على البعد مصرا حيث باقي الشعر المهذب نشرا
إن مصراً ريحانة الأمصار

تبلغ النفس عند مصر مناها طيب الله بالسلام ثراها
بلدة صيّب النجاح سقاها يجد الحر مأمناً في ذراها
أنت يا مصر ملجأ الأحرار

يا ربوع الهوى عليك السلام أنت للنفس مقصد ومرام
في حماك النزيل ليس يضام لأولي العلم في ذراك احترام
واعتبار في الجاه أي اعتبار

(شطانوف) محمد منصور خضر

أسأل الرسالة:

نعم أسأل (الرسالة) السؤال الأخير حول «الهزج والوافر» فأقول: هل الوافر يلحق به من الزحاف المركب — صلح أم قبح — (النقص) وهو اجتماع العصب والكف أي إسكان اللام وحذف النون من مفاعلتن، أم لا؟

... لأن الجواب على هذا السؤال هو مدار البحث والجدل في أمر منصوص ومتوارد في كتب الأقدمين من العروضيين.

أنا لا أنكر أن الوافر لا يلحق به الكف — في حالة الزحاف المفرد — كما تقول (الرسالة) وإنما أقول إن الوافر يلحق به من (الزحاف المركب) النقص وهو اجتماع العصب والكف وهو شرط أساسي فيه على العاقبة. أما (الهزج) فأمره بسيط، إذ أن أهم ما يميزه عن الوافر هو (القبض) وهو حذف الياء من مفاعيلن أي الخامس الساكن، هذا إذا صرفنا النظر عن الكف

فأيما بيت رأيت فيه القبض فاحكم للتو بأنه من الهزج لا الوافر لأن القبض خاص به — ثم يبقى جواب الرسالة على السؤال لفض الإشكال وحسم الجدال. والسلام

(الزيتون) عمر ناصر أسعد

(الرسالة) الكف لا يدخل مفاعلتن في الوافر لا مع العصب ولا بدونه. وإنا أجازه العروضيون قياساً فقد منعه الشعراء عملا والشعر العربي كله جاهليه وإسلاميه بين يدي الأستاذ، فإن وجد شاهدا واحدا صحيحا على وقوع (النقص) في الوافر تامه أو مجزوئه انحسم الجدل في الجواز والمنع؛ وبقي الكلام في الحسن والقبح

للحاق به ، وكلما أراد الرجل أن يخفف الوطء ويقلل من وضع القدم ألفى أن الصوت لا يخف فإن هناك من الأعصان اليابسة والأوراق المبعثرة وغيرها مما يقبل الانقصام تحت قدميه المنذعرتين ما يكفي لمضاعفة الصوت وليس هذا وحده بل إن هذه العقبات قد أكدت على السالك واعترضت سرعته فحدت منها ، ولم يكن شأنه ليحتمل شيئاً من ذلك ...

ولقد بلغ أخيراً دار السيدة أيدس وهو كوخ قد اتخذ مكاناً قصياً في آخر الدرب ، فلما بلغه استأنى لحظة ثم عبر البقعة المشوشبة مما يلي شباك الكوخ الذي لم يكن عليه ستائر فكان النور ينبعث من زجاجه إلى الخارج .

واستطاع أن يبصر بالسيدة أيدس تنحني فوق الموقد وتخرج منه إبريق الشاي أو شبهه وتؤجج النار ، فساورته بعض الفكر وتردد بين أن ينفذ إليها من الشباك أو أن يعوج إلى الباب فينسل إلى داخل الكوخ من هناك ، وثابت حيث يقف ، فبان شعره الأحمر وقامته الممشوقة وأثوابه التواضعة ووجهه المكدود الذي يعرب عن أنه من صنف العمال أو الأجراء الذين لا يصيبون من أعمالهم فوق ما يمسك الرمق كثيراً . ولم يفتح عليه تدبره الموضوع من حيث ولوج الباب أو الشباك برأي فقد كان مضطرباً ، ولكنه وطد العزم هذه المرة فجأة على أن ينفذ من الباب في حكمة وأن يفعل ذلك من دون أن يقرعه وبدون أن يستأذن وهكذا فعل . ولما سمعت السيدة أيدس تلك الحركة استدارت مسرعة وقالت :

ما ذا : أهذا أنت يا بيتر كروج ؟ لم أسمعك تقرع الباب

قال : إنني لم أقرع الباب يا سيدتي إذ أني لم أرد أن يسمع ذاك أحد قط

قالت : ولماذا ؟

قال : لقد نزلت بي نازلة ، وكانت يداه ترتجفان ولونه ممتقعاً

قالت : فماذا صنعت ؟

قال : لقد قتلت يا سيدتي أيدس

قالت : أأنت فعلت هذا ؟

قال : نعم أنا الذي أطلقت الرصاص !

قالت : أو قد مات ؟

قال : لست أدري .

وسادت لحظات من السكون حيث يقفان من مطبخ الكوخ حتى أنذرهما ابريق الشاي بصوت غليان الماء ، فدلفت إليه السيدة أيدس على غير وعي وأزاحته عن النار قليلا ...

وكانت السيدة أيدس هذه نحيفة يبدو عليها أنها تنازعتها الأسقام زمناً ، وهي صغيرة الحجم سمراء البشرة يكسو وجهها الناشف عدد لا يحصى من التجاعيد الصغيرة ، على أنها وإن لم تكن تتجاوز الثانية والأربعين من العمر فإن الأيام قد قست عليها قسوة أخرجتها من معاني ذلك العمر إلى معان أخرى ، إذ أن العمل الذي كانت قد وكلت به في تلك المقاطعة لم يكن راحاً ولا مجاملاً .

التفتت السيدة أيدس إلى بيتر كراوج وقالت له : وماذا عساك تريد مني أيها الفتى ؟

قال : هاهم أولاء على أثري وعجلت إليك لأستخفي عندك ؛ فلعلك مخبئة إياي في ركن من الكوخ لا تمتد إليه أبصارهم ، حتى إذا ما ولوا الأدبار خرجت من هنا آمناً وانصرفت بعيداً عنهم .

قالت : ومن هم ؟

قال : حراس الغابة .

قالت : ويلك ! أو تكون قد قاتلت الحراس وأصبت منهم واحداً ؟

قال : أجل فقد دانيت حروف الغابة أريد أن أنتزع منها ما يمسكني ، فشعر بي هؤلاء الحرس وكانوا أربعة وكنت وحيداً ، فلجأت إلى بندقيتي فسوبتها إليهم وأطلقت منها رصاصة ثم هربت ، وهاهم أولاء على أثري كما قلت ، ويغلب على ظني أنهم مني جد قريبين

ولقد سكتت السيدة أيدس لحظات كأنها تفكر ، وسكت هو كأنه يستعطف ؛ ثم بادهها بالكلام قائلاً : إن كنت يا سيدتي لا تريدين قبول رجائي من أجلي فليكن ذلك من أجل صديق (توم)

قالت : ولكنك لم تكن من أصفياء (توم) أو المقربين إلى نفسه

قال : بلى لقد كنت ، وهو أوفى أصدقائي ، ولو كان حاضراً لما وسعه إلا أن يذود عني ويعهد لي من داره ما أشتهي مخبأ ومكاناً

قالت : إنني لا أستطيع أن أنفي هذا ، فقد كان (توم) يمنحك من ظنه فوق ما تستحق فلا تثريب عليك في البقاء حتى يعود توم على الأقل فيسمع منك ما تقول ، ويقول لك ما يجب أن تسمع ، وسيعود بعد ساعة أو نحوها فما ذا أنت فاعل بعد ذلك ؟

قال : لا أدري ولكني لا يزال أمامي متسع من الوقت للتفكير في الموضوع .

قالت : هنا يصفو لك التفكير (وفتحت له مكاناً في ركن المطبخ صغيراً) ولن يخطر ببال غرمائك إذا جاءوا أنك ثاو في

هذا المكان ولا سيما إذا قلت لهم بأنني لم أبصر بك هذا المساء .

قال لها : أنت عظيمة يا سيدتي ، وإنني أعلم أنني لا أستحق منك تلك الرعاية ولا ذلك العطف ، وما كان أسعدني لو كانت لي أم من نوعك ، إذن لكنت غير ما أنا عليه الآن ...

لم تقل السيدة أبدس شيئاً بل أغلقت الباب عليه فأضحى في ظلام دامس لا ينفذ إليه من نور الطبخ إلا شعاع واهن منحدر من أحد شقوق الباب ، ومن هذا الشق ذاته كان بيتر يرى الوالدة تهيىء عشاء وحيدها (توم) الذي يأتي بعد ساعة من المزرعة التي يعمل فيها . وقد بكّر (بيتر) يصور لنفسه جيئة صاحبه من عمله وما سيكون له من رأي في الذي اقترفه ؛ ولكنه أيقن بأنه لن يلقى عطفاً حبته به أمه أبداً ؛ وعلى الأخص فإن الصداقة التي تربطها ليست من النوع الذي يسوغ مثل هذه الأفاعيل وإن كان كل منهما قد شق لنفسه في الحياة طريقاً يختلف عن الآخر ...

أقام بيتر في زاويته بين الأكياس المكدسة ثم استاق بينها ، ثم أخذته الأفكار ، ثم سطعت رائحة الطعام من المطبخ تسيل لعابه وتوقظ فيه الجوع ، على أنه انبعث فيه أمل في أن يطعم بعض هذا الذي يشم عند ما يؤوب (توم) . ولن تنكر السيدة أبدس عليه هذا على وجه التأكيد بعد أن علمت مبلغ جوعه وعرفت بعد الشقة التي وطد العزم على قطعها ...

وهنا أخذت الوقائع تتجلى له بصورة مؤلمة ، وهنا أيضاً سمع وقع أقدام أذهلته وأعادته إلى نفسه الخائفة ، فاحتقن وطفت ضربات قلبه إذ لابد أن يكون هؤلاء القادمون هم الحراس الموتورين وقد عرفوا مكمن الجاني فجاءوا يأخذونه من بيت صديقه وهم يعلمون أن هذه الصداقة تبرر العطف عليه . وقد أضاع اتزانه فانكمش في ركن ضيق من الزاوية انكماشاً ، وأخذ يلوم نفسه على اللجوء إلى هذا الكوخ الذي يرد على بال المتعقبين قبل أي مكان غيره . ثم ارتجف وتحشرجت أنفاسه وازدحمت الزفرات في صدره ولكن وقع الأقدام تعدى الكوخ ولم يقرع بابه ، وجاء من بعدهم السكون الذي هو في أكثر الأحوال أبلغ عبارة من الضوضاء

أطلت السيدة أبدس من جانب الزاوية عليه وقالت إنهم جماعة القلمة وقد رأيتهم في طريقهم يحملون مشاعلهم ، فلعل الصواب أن تنسل الآن من الطريق المعاكسة إلى (كنت) حيث تأخذ القطار الذاهب إلى لندن فهذا خير لك وأبقى . وإن القطار ليبرح موضعه في الساعة العاشرة من هذا المساء ...

قال : إن هذا الذي تريينه مصيب ولكني لا أملك من أجر السفر قرشاً

فلم تقل له شيئاً بل دلفت إلى أحد أدراج خزانة المطبخ وأخرجت له منه شيئاً من المال وقالت هذه سبعة دراهم تعينك على بلوغ لندن وتمنع عنك الطوى قليلا ، فاحتار الفتى كيف يشكرها ولكنها قالت لا تشكرني فإنني إنما أفعل ذلك من أجل (توم) وهذا يكفي إذ أنه كان يحبوك بعطفه دائماً ، وإنني لأرجو الله مخلصة أن لا تذوق من بعدها محناً أخرى . بل إنني شاعرة ببرد الطمأنينة لأنني أدري أنه لم يكن أحد ليعلم بأنك قد مررت بهذا الكوخ وهو بعينه السبب الذي يحدوني أن أستحثك على الخروج من هنا قبل أن يعود (توم) ، وإنني لأخشى أن يصحبه أحد أصحابه فينشأ لك طارىء من المحنة أنت عنه في غنى ... ثم إني أريد أن تعلم أنني لم أكن لأشجع نفسي على مخالفة ضميري في عصيان القانون في إيوائك لأنني أعلم بأن مقاتلة الحرس والدفاع عن النفس دونهم لا تشبه قتل إنسان بريء لا شأن له ، وعلى كل حال فإني أريد أن أنصرف عن هذا الموضوع وأضرب عنه صفحاً .

وقامت تفتح له باب الكوخ ليخرج ، ولكنها ما كادت تفعل حتى بدأت أصوات الأقدام تسمع بوضوح في نقطة قريبة .

قالت السيدة أبدس : لعل هذا توم ؛ ولكن لا فإن أصوات الأقدام تؤكد بأن العدد أكثر من واحد فخير لك أن تعود إلى زاويتك فإني أسمع كلاماً . اربض هناك حتى يمروا هذه المرة أيضاً

ذهب (بيتر) إلى حيث كان قابعاً بين الأكياس ، وتداعت الأصوات روبداً روبداً فتصور لحظة أنها ستمر كما حصل في المرة الماضية ولكنها تلبثت قليلا لتتجاوز القطعة المشوشبة من خارج الباب ، وبعد لحظة سمع الباب يقرع . . إذن هذا توم بعينه .

ارتعد بيتر من الخجل والقلق ، وألصق عينه بخصاص الباب وحدج المطبخ فألفى السيدة أبدس تدلف نحو باب الكوخ وما كادت تفتحها حتى دخل رجل إلى الداخل وسد الباب من ورائه فعرفه بيتر ، أنه (فدلر) أحد الحراس الأربعة ، فجمد بيتر وتصلبت ساقاه فقد عرفوا مأواه وتأثروه وافتضح أمره فليس هناك من جدوى في استخفائه أبداً . على أنه لم يعد مستخفياً بعد الذي كان فما باله لم يختر مكاناً أحسن من هذا وأضمن لإفلاته ؟ وما باله لم يدفع عن نفسه خيراً من هذا لدفع ، وهنا وهنت ساقاه عن حمله

فجلس على الأكياس إعياء وغماً ...

وكانت سحنة الرجل فى المطبخ تدل على أنه يعالج أمراً صعباً ويلوك كلمة جليلة على النفس المكينة التى تواجهه فوقف صامتاً يطوى بيدين عصبيتين قبعته .

قالت له : ما ذا جرى ؟

قال : أريد أن أحادثك يا سيدتى

فأرهف بيتر أذنيه وتمنى أن لو استطاع أن يسكت قلبه ليتم له السماع ، ولكن مخاوفه وهنت عند ما تصور أن السيدة ان تفضح أمره مادام قد استشفع لها بابنها (توم) قال : لقد حملت إليك أنباء سيئة ، فانحرفت ، وقالت ما ذا تعنى وأخذت سمتها نحو الباب فتشبث بها الرجل وقال لا تفعلى يا سيدتى حتى أبسط لك الأمر ...

قالت له السيدة أيدس أسرع أيها الرجل فيما تقول ودفعته جانباً ، ولكنه أخذ يتكلم متلعثما مسرعا ويقول: حدث فى أطراف الغابة نزاع، وذلك أن رجلا من السراق كان يريد أن يصطاد بعض الأرانب، وكان (توم) مع الحراس، وهنا كان الظلام حالكا فأطلق السارق بندقيته ولاذ بالفرار .

وأودى التعب بالمتكلم فاستأنى قليلا .. أما بيتر فانه استحال إلى إنسان من الخشب فى الزاوية التى وقف فيها ، وقبل أن تقول السيدة كلمة خرج الرجل وأشار لجماعته فدخلوا يحملون جثة ووضعوها فى وسط المطبخ .

قالت أيدس : أهو ميت ، وعلمت وقد تبعثر الدمع من عينيها أن نعم . أما بيتر فقد عز عليه الدمع بل استيأس وقنط ورأى أن قد حصحص الحق ولا سبيل إلى الهرب ...

ورأى بيتر أن الحياة جميلة فى تلك اللحظة ولاسيما إذ تكون من مقوماتها فتاته التى يحبها ، ولكن حياته لم تعد بعد اليوم ملكاله بل هى ملك للسيدة أيدس تفعل بها ما تريد ...

كانت السيدة أيدس تجلس على الكرسى المجدول من السعف قرب الموقد وقد أعانها أحد الرجال على الجلوس وتقدم الثانى يصب لها من قارورة صغيرة نوعا من الشراب لعله ينعشها قليلا .

وقالوا لها بعد هذا إنهم لم يروا القاتل ولكنهم استطاعوا أن يظفروا ببندقيته التى أذهله عن أخذها هول الأمر وهى بعينها بندقية بيتر ولعله فعل فعلته غير عامد إذ أنه كان صديقا لتوم .

كان بيتر حينئذ منتصب القامة ينظر من شق الباب فرأى السيدة أيدس تتحامل على نفسها وتقوم على قدميها وتقف على رأس المائدة وتنظر فى وجه الرجل الميت الذى انعكست عليه كل معانى الخلود ، ثم رآها تنظر إلى الرجال الذين تراجعوا للذهاب إلى صميم الغابة للتفتيش عن بيتر الجانى الأثيم . ثم رآها بعد هذا كله تمد يدها إلى جيب صدارها فتخرج مفتاح الباب الذى يتوارى بيتر وراءه ..

لقد سأل الرجل مدام أيدس هل رأت بيتر ذلك المساء فأجابت لا لم أره منذ يوم الثلاثاء ، فقال لها محدثها إذن سنفتش عنه وسنأتيك بمزيجين أيضا فأشارت برأسها بالإيجاب .

قالت السيدة أيدس لقدلر وكان آخر من بقى لديها : ساعدنى على حمله إلى الداخل ، إلى الفراش ، إلى غرفة نومه . وتعاونت هى وهو على وضعه فى سريره وخرج قدلر .

انتظرت السيدة أيدس حتى انعدمت حركة الأقدام فى الدرب خارج كوخها ، وحينئذ جاءت إلى الزاوية التى يستكن فيها بيتر وهنا أخذته الرعدة من جديد ، لقد كان الأمر فوق أن يحتمل وكان الأشهى له أن يموت قبل أن تقع عينه على هذه السيدة ... سمع المفتاح يدور فى القفل ولكنها لم تدخل هذه المرة ، بل فتحت عليه بابه فقط ثم تراجعت وأغلقت عليها الباب الذى يضم توم .

عرف (بيتر) ما ذا يجب أن يفعل فإن الشىء الوحيد الذى أرادته السيدة أيدس هو الشىء الوحيد الذى يستطيع أن يفعله .. فتح الباب بصمت وسكون وخرج ...

منيب الكيلانى

إدارة البلديات — مياه

تقبل المطاءات بمجلس بور سعيد البلدى لغاية ظهر يوم ١٥ / ٧ / ١٩٤٧ عن توريد مواسير جلفانزيه وخلافها وتطلب الشروط والمواصفات من المجلس نظير عشرة قروش صاغ بخلاف أجرة البريد .

٧٤٣٠